ISSN: 2663-5798 || Arab Journal for Scientific Publishing

المجلد التاسع – العدد السابع والتسعون
تاريخ الإصدار: 2 – تشرين الثاني – 2026م
www.ajsp.net

"موانع الاهتداء الشرعية"

إعداد الباحثة:

تهاني بنت الجنيدي جباري بلابل

الرقم الجامعي:

2300817

إشراف:

د. إيمان عسيري

أستاذة العقيدة بقسم الشريعة والدراسات الإسلامية

بحث مستل من رسالة الدكتوراة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة [الدكتوراة]

في تخصص [العقيدة] من قسم الدراسات الإسلامية – المملكة العربية السعودية – وزارة التعليم

جامعة الملك عبدالعزيز – كلية الآداب والعلوم الإنسانية – قسم الشريعة والدراسات الإسلامية

1447 –1448هـ

Received: 13/10/2026 | Revised: 14/10/2026 | Accepted: 21/10/2026 | Published: 02/11/2026

ملخص الدراسة:

يتناول هذا البحث موضوع موانع الاهتداء دراسة عقدية، من خلال بيان مفهوم الاهتداء وحقيقته، والكشف عن أبرز الموانع التي تحول بين العبد وبين الانتفاع بالهدى وقبوله والعمل بمقتضاه، مع تأصيل ذلك في ضوء نصوص الكتاب والسنة وأقوال أهل العلم من أهل السنة والجماعة.

How to Cite This Article

بلابل، ت. ج. ج. (2026). موانع الاهتداء الشرعية. *المجلة العربية للنشر العلمي*، 9(97) ، (394-415).

AJSP | Vol. 9 | Issue 97 | DOI: https://doi.org/10.36571/ajsp.97 **AJSP ORCID: https://orcid.org/0009-0005-8048-2082**

المجلد التاسع – العدد السابع والتسعون
تاريخ الإصدار: 2 – تشرين الثاني – 2026م
www.ajsp.net
ISSN: 2663-5798 || Arab Journal for Scientific Publishing

المقدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، الذي هدى من شاء بفضله، وأضلّ من أعرض بعدله، والصلاة والسلام على نبينا محمد، المبعوث هاديًا ومبشّرًا ونذيرًا، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أمّا بعد؛ فإن مسألة الاهتداء من القضايا العقدية المهمة التي اعتنى بها القرآن الكريم والسنة النبوية عناية ظاهرة، لِما لها من اتصال وثيق بحقيقة الإيمان، وبأصل القضاء والقدر، وبمسؤولية الإنسان عن أفعاله واختياره. فالاهتداء في المفهوم الشرعي لا يقتصر على مجرد المعرفة، بل يشمل قبول الحق والعمل به والثبات عليه، وهو ثمرة توفيق الله تعالى لعباده، مع قيام الحجة وبذل الجهد في طلب الحق.

فالاهتداء إلى الحق نعمة عظيمة يهبها الله تعالى لمن طلبها بصدق، وسعى إليها بقلب متواضع وعقل متدبر. فالإنسان قد يسمع الموعظة، ويرى دلائل الحق، ثم لا ينتفع بها بسبب وجود موانع تحول بينه وبين قبول الهدى والعمل به. وتتمثل هذه الموانع في أمور قلبية وفكرية وسلوكية، مثل الكِبر، واتباع الهوى، والتعصب، وتقليد الآباء والأجداد دون دليل، والغفلة، وحب الدنيا، والإصرار على المعصية. وفي هذا البحث[1] سيتم الاقتصار على عدد 3 من كل نوع من أنواع موانع الاهتداء وبقية الموانع سيتم عرضها في الرسالة.

وقد بيّن القرآن الكريم أن المشكلة لا تكون دائمًا في غياب الدليل، بل قد تكون في فساد القلب أو انحراف الإرادة؛ قال تعالى :﴿**فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ**﴾ [الحج: 46]. لذلك فإن معرفة موانع الاهتداء تساعد الإنسان على تشخيص أسباب البعد عن الحق، ومجاهدة النفس، وتطهير القلب، والرجوع إلى الله تعالى بصدق وإخلاص.

(2) تساؤلات البحث:Research Problem

1. ماالمقصود بموانع الاهتداء ومذهب السلف منها
2. ماهي أنواع موانع الاهتداء

(3) أهداف البحث :Objectives

يهدف البحث إلى دراسة:

1. التعريف بموانع الاهتداء ومذهب السلف منها
2. تذكر أنواع موانع الاهتداء

(4) أهمية البحث :Important of Research

تظهر أهمية البحث في امتثال الحديث القدسي الذي ذكر الله فيه أن طلب الهداية مطلب لتحقيقها في الحديث الذي رواه أَبِي ذَرٍّ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِيمَا رَوَى عَنِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ: «يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ

[1] أصل البحث جزء من رسالة دكتوراة بعنوان الاهتداء أسبابه وموانعه دراسة عقدية للباحثة

مُحَرَّمًا، فَلَا تَظَالَمُوا، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ، فالاهتداء مطلب لحصول الهداية ، ومعرفة الأسباب والموانع لأي موضوع طريقة من طرق تحقيقه ويظهر هذا في جوانب هذا البحث .

(6) منهج البحث Research Methodology:

المنهج التحليلي: ويتمثل بتحليل ما استنبطه أهل العلم في تفسيرهم للآيات وفي شروحاتهم للأحاديث التي ذكرت فيها موانع الاهتداء.

تمهيد تحته مسألتان

المسألة الأولى: المقصود بمنع الاهتداء (الإضلال – منع العلم –منع العمل)

يتناول هذا المبحث مفهوم منع الاهتداء بوصفه جانبًا مقابلًا لأسباب الهداية، ويُقصد به: صرف العبد عن طريق الحق أو حجبه عنه علمًا أو عملًا، بما يؤدي إلى انحراف التصور أو السلوك. ويظهر هذا المنع في ثلاث صور مترابطة: الإضلال، ومنع العلم، ومنع العمل.

أولًا: الإضلال (إزاغة القلب)

الإضلال هو :صرف القلب عن الحق بعد وضوحه، أو تثبيته على الباطل بسبب اختياره للزيغ .وهو في التصور الإسلامي ليس ابتدائيًا، بل يرتبط بسلوك العبد.

وقد دلّ القرآن على هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ سورة الصف: 5 وقوله :﴿يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ سورة فاطر: 8

ويقرر ابن تيمية أن الإضلال يقع عدلًا من الله تعالى على من أعرض عن الحق، وأنه مرتبط بسوء اختيار العبد [2] كما يبين ابن القيم أن إزاغة القلب نتيجة للذنوب والإعراض المتكرر عن أسباب الهداية [3]

ثانيًا: منع العلم (حجب الفهم والبصيرة)

يقصد به :حرمان العبد من الفهم الصحيح للحق أو تعطيل إدراكه له، رغم وجود الأدلة وسماعها.

وقد ورد هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ ﴾ سورة الأنعام: 25(، وقوله :﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ سورة البقرة: 7(

يشرح ابن القيم أن هذا الختم والأكنة هو نتيجة تراكم الذنوب والإعراض، حتى يُحرم العبد نور الفهم [4] ويؤكد ابن تيمية أن فساد القلب يحول دون إدراك الحقائق الشرعية رغم وضوحها [5]

[2] (مجموع الفتاوى، ج8).
[3] (مدارج السالكين).
[4] (إغاثة اللهفان).
[5] (مجموع الفتاوى).

ثالثًا: منع العمل (سلب التوفيق)

ويقصد به :عدم التوفيق لتطبيق العلم وتحويله إلى عمل صالح، فيصبح العلم حجة لا هداية.

وقد أشار القرآن إلى هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾)الصف: 3(، وفي قوله :﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم﴾)الأعراف: 182.(

ويبين ابن القيم أن أعظم الحرمان هو انفصال العلم عن العمل، وأن ذلك من علامات سلب التوفيق [6]كما يؤكد ابن تيمية أن حقيقة الهداية هي العلم والعمل، فإذا انفصلا وقع النقص والحرمان [7]

رابعًا: العلاقة بين الأنواع الثلاثة

تتداخل هذه الأنواع في بنية واحدة؛ إذ يبدأ المنع غالبًا بـ:

1. الإعراض
2. فيترتب عليه حجب الفهم (منع العلم)
3. ثم سلب التوفيق للعمل (منع العلم)
4. وقد ينتهي إلى الإضلال الكامل للقلب .

وبذلك يتبين أن منع الاهتداء ليس حالة منفصلة، بل هو مسار تراكمي يرتبط بسلوك العبد واختياره.

خاتمة

يظهر من هذا التحليل أن منع الاهتداء في التصور الإسلامي يتجلى في ثلاث دوائر مترابطة: الإضلال، ومنع العلم، ومنع العمل، وجميعها ترتبط بعدل الله تعالى وحكمته، وتقع غالبًا نتيجة اختيار العبد للإعراض عن أسباب الهداية. وبذلك يتحقق التوازن بين المسؤولية الإنسانية والقدر الإلهي في بناء التصور العقدي للهداية والضلال.

[6] (مدارج السالكين).
[7] (مجموع الفتاوى).

مذهب السلف في أثر المانع من الاهتداء

يقوم مذهب السلف في باب الاهتداء وموانعه على أصل عقدي جامع، وهو أن الهداية من الله تعالى فضلًا وتوفيقًا، وأن العبد مأمور بطلبها وسلوك أسبابها، وأن من الأسباب ما يعين على حصولها، ومنها ما يحول دون الانتفاع بها. وقد قرر ابن القيم أن العبد محتاج إلى الهداية في جميع أحواله، وأن من تمام حصولها دفع الموانع والصوارف التي تحول دون الانتفاع بها، فقال: «فإذا كان هذا شأن الهداية، علم أن العبد أشد شيء اضطرارًا إليها»، ثم بيّن أن المقتضي وحده لا يكفي في حصول أثره مع وجود المانع، فقال: «الحكم لا يكفي فيه وجود مقتضيه، بل لا بد مع ذلك من عدم مانعه ومنافيه» [8]

ويُعد هذا الأصل من أهم الأصول التي يمكن بناء مفهوم موانع الاهتداء عليه؛ إذ يدل على أن وجود أسباب الهداية ومقتضياتها لا يستلزم بالضرورة تحقق أثرها في العبد إذا قام به مانع يحول دون قبول الحق أو الانتفاع به. وبذلك يكون المانع مؤثرًا في تحقق مقتضى الاهتداء من جهة كونه صارفًا للعبد عن مقتضى الدليل أو مانعًا له من الانقياد لموجبه (ينظر: ابن القيم، مفتاح دار السعادة، 158/1.(

ومن أصول أهل السنة والجماعة في هذا الباب أن الهداية التوفيقية بيد الله تعالى، لا يستقل العبد بتحصيلها دون توفيقه سبحانه، قال تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ [الأنعام: 125]. وقد بيّن ابن تيمية أن الهداية التي هي توفيق وإلهام وإعانة لا يملكها إلا الله تعالى، وأن الرسل إنما يهدون بمعنى الدلالة والبيان، أما هداية التوفيق فإلى الله تعالى [9]

وفي الوقت نفسه، لا يفصل السلف بين توفيق الله تعالى وبين مسؤولية العبد عن اختياره وسعيه، بل يثبتون الأمرين معًا؛ فالعبد مأمور بالإيمان والطاعة، ومنهي عن الكفر والمعصية، وله مشيئة وقدرة تحت مشيئة الله تعالى. ولذلك قال تعالى: ﴿لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ۝ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [التكوير: 28–29]. وقد قرر ابن تيمية أن العباد فاعلون لأفعالهم حقيقة، وأن أفعالهم واقعة بمشيئة الله تعالى وقدرته، من غير أن يكونوا مجبورين عليها [10]

الحق، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [الصف: 5]. فالآية رتبت إزاغة القلوب على زيغ أصحابها، مما يدل على أن انحراف العبد وإعراضه عن الحق قد يكون سببًا في حرمانه من مزيد الهداية. وقد قرر ابن تيمية أن الجزاء من جنس العمل، وأن ما يصيب القلب من الزيغ قد يكون عقوبة على ما تقدم من العبد من فعل أو ترك، مستدلًا بهذه الآية [11]

ويؤكد ابن كثير هذا المعنى عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾، فيبين أن القوم لما عدلوا عن الحق مع علمهم به عوقبوا بإزاغة القلوب، قال: «فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم»، أي لما عدلوا عن اتباع الحق مع علمهم به، عوقبوا على ذلك بإزاغة القلوب [12]

---

[8] (ابن القيم، *مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة*، 158/1.(
[9] (ينظر: ابن تيمية، *مجموع الفتاوى*، 179/10.(
[10] (ينظر: ابن تيمية، *مجموع الفتاوى*، 372/8-373.(

[11] (ينظر: ابن تيمية، *مجموع الفتاوى*، 223/13.(
[12] (ينظر: ابن كثير، *تفسير القرآن العظيم*، تحقيق سامي بن محمد سلامة، دار طيبة، 109/8.(

ومن ثم فإن المانع من الاهتداء قد يكون ناشئًا من اختيار العبد وإرادته وسلوكه، ثم يترتب عليه أثر في القلب يزيده بعدًا عن الحق. ولا يعني ذلك استقلال العبد بالتأثير، وإنما يعني إثبات الأسباب التي جعلها الله تعالى مؤثرة، مع اعتقاد أن جميع الأسباب والمسببات داخلة تحت مشيئته سبحانه [13]

ومن الأصول المهمة عند السلف التفريق بين المانع الذي ينافي أصل الاهتداء، والمانع الذي يمنع كماله أو يضعفه .فالكفر والشرك الأكبر والنفاق الاعتقادي تنافي أصل الإيمان الذي يقوم عليه الاهتداء الشرعي؛ ولذلك قال تعالى في شأن الكافرين: ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: 264]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: 258]. وبيّن الطبري في تفسير قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ أن المراد أنه لا يوفقهم لإصابة الحق الذي به يستحقون الثواب، بسبب كفرهم [14]

أما الموانع القلبية والعملية، كالهوى والكبر والحسد والذنوب وترك المجاهدة، فليست في أصلها على درجة واحدة، ولا يلزم من وجودها انتفاء أصل الاهتداء، وإنما يكون أثرها في الغالب في نقص كمال الاهتداء وإضعاف أثره في القلب والعمل، بحسب قوة المانع واستحكامه وما يترتب عليه. وقد قرر ابن القيم أن الذنوب والمعاصي تؤثر في القلب وتضعف إرادته للخير، وأن أثر المعصية يتجاوز ظاهر العمل إلى القلب، حتى تضعف صلته بالحق والهدى [15]

ويتأكد أثر الموانع القلبية في السنة النبوية، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر»، فقيل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنًا ونعله حسنة، فقال صلى الله عليه وسلم: «إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق وغمط الناس» [16]ووجه الدلالة أن النبي صلى الله عليه وسلم جعل من حقيقة الكبر بطر الحق، أي رده ودفعه، مما يدل على أن الكبر قد يكون مانعًا من قبول الحق والانقياد له، ومن ثم كان من الموانع القلبية المؤثرة في الاهتداء.

كما جاء في حديث حذيفة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «تُعرض الفتن على القلوب كالحصير عودًا عودًا، فأي قلب أُشربها نُكت فيه نكتة سوداء، وأي قلب أنكرها نُكت فيه نكتة بيضاء...» [17]ووجه الدلالة أن الحديث يبين أن استجابة القلب للفتن تؤثر في صفائه وقابليته للحق، وأن تكرار الاستجابة للموانع قد يؤدي إلى تغير حال القلب وضعف انتفاعه بالهداية.

كما يدل حديث عرض الفتن على القلوب على أن أثر المانع قد يكون تراكميًا؛ إذ لا يلزم أن يؤدي المانع من أول وقوعه إلى زوال الاهتداء، وإنما قد يتكرر أثره حتى يستحكم في القلب. وهذا يتفق مع ما قرره ابن القيم في أثر الذنوب والشهوات في القلب، وأنها تتعاظم آثارها بتكررها حتى تستولي على القلب وتضعف فيه إرادة الخير وقبول الحق [18]

ومن جهة أخرى، يقرر مذهب السلف أن إزالة الموانع من أسباب زيادة الاهتداء، كما أن مجاهدة النفس والسعي في الطاعة من أسباب حصول الهداية وزيادتها. قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: 69]. وقد استدل ابن

---

[13] (ينظر: ابن تيمية، *مجموع الفتاوى*، 8/372-373؛ ابن القيم، *مفتاح دار السعادة*، 1/158.).
[14] (ينظر: الطبري، *جامع البيان عن تأويل آي القرآن*، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، 5/572-573.).
[15] (ينظر: ابن القيم، *الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي*، ص37-40.).

[16] (مسلم، *صحيح مسلم*، كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه، رقم 91).
[17] (مسلم، *صحيح مسلم*، كتاب الإيمان، رقم 144).
[18] (ينظر: ابن القيم، *الجواب الكافي*، ص37-40.).

تيمية بهذه الآية على أن الجهاد سبب لهداية السبيل، فقال: «والجهاد يوجب هداية السبيل إليه» [19] وبذلك يتبين أن علاقة العبد بالاهتداء ليست علاقة سكون وانتظار، بل هي علاقة طلب ومجاهدة وإزالة لما يعوق القلب عن الحق.

وعليه، فإن مذهب السلف في أثر المانع من الاهتداء يمكن تقريره في جملة من الأصول :أن الهداية فضل من الله تعالى وتوفيق، وأن العبد مأمور بسلوك أسبابها، وأن وجود مقتضي الهداية لا يكفي مع وجود مانع يحول دون أثره، وأن الموانع تختلف في نوعها وأثرها، فمنها ما ينافي أصل الاهتداء، ومنها ما ينقص كماله، وأن المانع قد يبدأ ضعيفًا ثم يستحكم بتكرار الاستجابة له، وأن مجاهدة النفس والتوبة والطاعة من أهم أسباب إزالة الموانع وزيادة الاهتداء [20]

وبناءً على ذلك، فإن أثر المانع لا ينبغي أن يفهم على أنه تأثير مستقل عن مشيئة الله تعالى، بل هو من جملة الأسباب التي جعلها الله تعالى مؤثرة في العباد؛ فالعبد مسؤول عن اختياره وسعيه، والله تعالى خالق العبد وفعله، ولا يقع شيء إلا بمشيئته سبحانه. وبهذا يجتمع في تقرير مذهب السلف إثبات القدر والتوحيد في الربوبية، مع إثبات مسؤولية العبد عن اختياره وعمله، وهو ما يفسر اجتماع النصوص التي تنسب الهداية إلى الله تعالى، والنصوص التي تنسب الزيغ والإعراض إلى فعل العبد واختياره [21]

وبهذا يظهر أن الموانع ليست مرتبة واحدة في أثرها على الاهتداء؛ فبعضها يمنع أصل الاهتداء، وبعضها يضعف كماله، وبعضها قد يكون عارضًا يزول بالتوبة والمجاهدة والعلم والعمل. ومن ثم فإن دراسة الموانع لا تقتصر على بيان صورها، وإنما تتطلب النظر في درجة أثر كل مانع، ومحله، وما إذا كان مانعًا من أصل الاهتداء أو من كماله، ومدى استحكامه في القلب والسلوك، وهو ما يحقق الضبط العقدي لمفهوم موانع الاهتداء.

الأدلة من القران الكريم على وجود موانع الاهتداء

عند استقراء الآيات التي نفت الهداية عن أصناف معينة من الناس، يتبين أن هذا النفي لم يَرِدَ اعتباطًا، وإنما جاء مرتبطًا بأوصاف وأعمال كانت موانع تحول بينهم وبين الانتفاع بالحق. ومن ذلك قوله تعالى :﴿**إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ**﴾، وقوله :﴿**وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**﴾، وقوله :﴿**وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ**﴾.

فقد نُفيت الهداية عن الكافرين بسبب إعراضهم عن الحق وجحودهم به، وعن الظالمين بسبب تجاوزهم حدود الله ووضعهم الأمور في غير مواضعها، وعن الفاسقين بسبب خروجهم عن الطاعة وإصرارهم على المعصية. كما نفى الله تعالى الهداية عن من اتصف بالكذب والكفر، فقال :﴿**إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ**﴾، وعن من استحب الضلال على الهدى، فقال :﴿**إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الضَّالِّينَ**﴾، وعن المتكبرين، فقال :﴿**إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ**﴾.

ويتضح من ذلك أن موانع الاهتداء ترجع في أصلها إلى فساد الاعتقاد، وانحراف السلوك، واستكبار النفس، قال تعالى :﴿**سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ... وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا**﴾ [الأعراف: 146]. واتباع الهوى، قال تعالى : ﴿**وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ**﴾ [ص: 26]. والإصرار على الباطل قال تعالى :﴿**وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ**﴾ [البقرة: 170].. فالهداية لا تُمنع عن هؤلاء لعدم قيام الحجة أو غموض الطريق،

[19] (ابن تيمية، *مجموع الفتاوى*، 34/28.)
[20] ينظر: ابن القيم، *مفتاح دار السعادة*، 158/1؛ ابن تيمية، *مجموع الفتاوى*، 28/ 34
[21] ينظر: ابن تيمية، *مجموع الفتاوى*، 372/8-373؛ 223/13

وإنما بسبب مواقفهم الاختيارية التي أغلقت قلوبهم عن قبول الحق والانتفاع به. قال تعالى : ﴿**وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا**...﴾ [طه: 124].ولذلك جاء نفي الهداية في هذه الآيات جزاءً وفاقًا لما اختاروه من الكفر والظلم والفسق والضلال، قال تعالى : ﴿**فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ**﴾ [الصف: 5].مع بقاء باب التوبة والرجوع إلى الله مفتوحًا لمن أقلع عن تلك الموانع

الأحاديث النبوية الدالة على موانع الاهتداء

ورد في السنة النبوية عدد من الأحاديث التي تدل على الموانع التي تحول بين العبد وبين الاهتداء إلى الحق، وتكشف عن آثارها في القلب والسلوك، ومن أبرزها ما جاء في **الكبر والاستكبار عن الحق**، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر»، فقال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنًا ونعله حسنة، قال: «إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق وغمط الناس» [22]؛ ووجه الدلالة أن النبي ﷺ فسّر الكبر بأنه «بطر الحق»، أي رده ودفعه وعدم قبوله، فدل ذلك على أن الاستكبار عن الحق وقبول الهدى من الموانع التي تحول دون الاهتداء إليه.

ومن موانع الاهتداء **اتباع الهوى**، وقد قال النبي ﷺ: «حُفَّت الجنة بالمكاره، وحُفَّت النار بالشهوات» [23]؛ ووجه الدلالة أن الشهوات تميل بالنفس إلى ما تحبه وتستثقل ما يخالف هواها، بينما طريق الطاعة والاهتداء قد يكون مخالفًا لرغبات النفس، فكان اتباع الشهوات والاسترسال معها من العوائق التي تحول دون سلوك سبيل الهدى والاستقامة عليه.

ومن موانع الاهتداء **الظلم**، فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «اتقوا الظلم، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشح، فإن الشح أهلك من كان قبلكم، حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم» [24]؛ ووجه الدلالة أن النبي ﷺ بيّن أن الظلم يورث الظلمات، وأن عاقبته تحمل صاحبها على تجاوز حدود الشرع واستحلال المحرمات، مما يدل على أثره في إفساد الاستقامة والانحراف عن مقتضى الحق.

ومن موانع الاهتداء **الإعراض عن الوحي**، وقد قال النبي ﷺ: «من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين» [25]؛ ووجه الدلالة أن الفقه في الدين وفهم الوحي من علامات إرادة الخير بالعبد، فالإعراض عن تعلم الدين وفهم دلائل الوحي يفوّت على العبد هذا الخير، ويحول بينه وبين الانتفاع بالهدى الذي جاء به الكتاب والسنة.

ومن موانع الاهتداء **فساد القلب** بما يلحقه من القسوة والزيغ والمرض والرين، فعن حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «تُعرض الفتن على القلوب كالحصير عودًا عودًا، فأي قلب أُشربها نُكت فيه نكتة سوداء، وأي قلب أنكرها نُكت فيه نكتة بيضاء، حتى تصير على قلبين: على أبيض مثل الصفا فلا تضره فتنة ما دامت السماوات والأرض، والآخر أسود مربادًّا كالكوز مجخِّيًا، لا يعرف معروفًا ولا ينكر منكرًا إلا ما أُشرب من هواه» [26]؛ ووجه الدلالة أن الحديث يبين أثر الفتن المتتابعة في القلب حتى يفسد ويبلغ به

[22] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه، رقم (91).
[23] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، رقم (2822).
[24] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، رقم (2578).
[25] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين، رقم (71)، ومسلم في صحيحه، رقم (1037).
[26] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان أن الإسلام بدأ غريبًا وسيعود غريبًا، رقم (144).

الحال أن لا يعرف معروفًا ولا ينكر منكرًا، وهو ما يكشف عن أن فساد القلب يحول دون إدراك الحق والتمييز بين الهدى والضلال، فيكون بذلك مانعًا من الاهتداء.

ويتصل بذلك ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن العبد إذا أخطأ خطيئة نُكتت في قلبه نكتة سوداء، فإذا هو نزع واستغفر وتاب صُقل قلبه، وإن عاد زيد فيها حتى تعلو قلبه، وهو الران الذي ذكر الله: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾» [27]؛ ووجه الدلالة أن الذنوب إذا تتابعت على القلب أحدثت فيه أثرًا متراكمًا حتى يعلوه الرين، فيضعف بذلك قابليته للحق، مما يدل على أن فساد القلب بالمعاصي من الموانع المؤثرة في تحقق الاهتداء.

ومن موانع الاهتداء **التقليد والجدال والصد عن سبيل الله**، فمن ذلك ما رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «لتتبعن سنن من كان قبلكم، شبرًا بشبر، وذراعًا بذراع، حتى لو دخلوا جحر ضب لتبعتموهم» [28]؛ ووجه الدلالة أن الحديث يحذر من اتباع طرائق الأمم السابقة وموافقتهم دون اعتبار للحق، مما يدل على أن التقليد الذي يحول دون اتباع الوحي ويمنع من النظر في الحق يعد من أسباب الانحراف عن سبيل الهدى.

ومن ذلك ما رواه النبي ﷺ في ذم الخصومة واللدد فيها، فقال: «إن أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم» [29]؛ ووجه الدلالة أن اللدد في الخصومة قد يحمل صاحبه على رد الحق وعدم الانقياد له، ولذلك كان من الأخلاق المذمومة التي تنافي التسليم للحق وتعيق الوصول إلى مقتضى الهدى.

كما قال ﷺ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»؛ [30]ووجه الدلالة أن الحديث يقرر رد ما أُحدث في الدين مما ليس منه، وفي ذلك تأكيد أن الاهتداء لا يتحقق إلا باتباع ما جاء به الشرع، وأن العدول عن السنة وإحداث ما ليس من الدين من أسباب الانحراف عن سبيل الهدى.

المطلب الأول: مفهوم موانع الاهتداء

يُعد الوقوف على مفهوم موانع الاهتداء من المسائل الأساسية في هذه الدراسة؛ إذ إن الهداية التي امتن الله بها على عباده لا تتحقق بمجرد قيام أسبابها، بل لا بد مع ذلك من انتفاء الموانع التي تحول بين العبد وبين قبول الحق أو الثبات عليه. ولهذا جاءت نصوص القرآن والسنة ببيان أن للهداية أسبابًا تُطلب، كما أن لها موانع يجب الحذر منها، قال تعالى :﴿**فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ**﴾ [الصف: 5]، وقال سبحانه :﴿**وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**﴾ [البقرة: 258]، فدلّت هذه الآيات على أن أوصافًا معينة تكون سببًا في حرمان العبد من الهداية أو كمالها.

وقد قرر ابن تيمية هذه القاعدة بقوله:

»والعبد إذا أعرض عن معرفة الحق الذي أُمر به، وعمل بخلافه، عوقب بأن يُطمس على قلبه، ويُحال بينه وبين الهدى«.

[27] أخرجه الترمذي في *سننه*، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة ويل للمطففين، رقم (3334).
[28] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، ومسلم في صحيحه.
[29] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الخصومات، رقم (2457)، ومسلم في صحيحه، رقم (2668).
[30] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصلح، رقم (2697)، ومسلم في صحيحه، رقم (1718).

وهذا يبين أن الحرمان من الهداية ليس واقعًا من غير سبب، بل هو من آثار إعراض العبد واختياره، مع عدل الله تعالى وحكمته. [31]

ويقول أيضًا: «قد تقوم الحجة على العبد، ولا يكون مهتديًا؛ لعدم إرادة وجه الله، أو لوجود مانع من كبر أو حسد أو هوى».

وهذا النص من أهم ما يُستدل به في هذا المبحث؛ لأنه يقرر أن قيام الحجة وحده لا يكفي لتحقق الاهتداء إذا وُجد مانع يمنع القلب من قبول الحق. [32]

أولاً: تعريف المانع لغةً

جاءت مادة (م ن ع) في اللغة للدلالة على الحيلولة بين الشيء وبين غيره.

قال ابن فارس في مقاييس اللغة: «الميم والنون والعين أصل صحيح يدل على خلاف الإعطاء، وهو الحبس والحيلولة». [33]

وقال ابن منظور في لسان العرب: «المنع نقيض الإعطاء، ومنعه الشيء: حال بينه وبينه». [34]

ومن خلال هذا المعنى اللغوي يظهر أن المانع ليس عدم وجود الشيء، وإنما وجود حاجز يمنع الوصول إليه، وهذا المعنى هو نفسه الذي يستفاد منه في باب الهداية.

ثانيا: تعريف المانع اصطلاحًا

عرف الأصوليون المانع بأنه: "**الوصف الظاهر المنضبط الذي يلزم من وجوده العدم، ولا يلزم من عدمه وجود ولا عدم لذاته**" .

وهذا التعريف أورده أبو إسحاق الشاطبي في الموافقات، كما ذكره غيره من الأصوليين، ومقتضاه أن المانع لا ينشئ الحكم، وإنما يمنع ترتب أثره مع وجود سببه.

وإذا نُقل هذا المعنى إلى باب الهداية، فإن المانع هو ما يحول بين القلب وبين الانتفاع بأسباب الهداية، مع قيام تلك الأسباب.

ثالثا: تعريف موانع الاهتداء

يمكن تعريف موانع الاهتداء بأنها:

الأوصاف الاعتقادية أو القلبية أو العملية التي تحول بين العبد وبين قبول الحق، أو تمنعه من الثبات عليه، أو تنقص كمال انتفاعه بالهداية.

---

[31] مجموع الفتاوى، تحقيق عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد، 489/7.

[32] معجم مقائيس اللغة - ط دار الفكر الجزء 5 : صفحة 278 : المؤلف : ابن فارس

[33] انظر :مجموع الفتاوى، 346.345/16–

[34])لسان العرب، مادة: منع، 343/8.(

ويشهد لهذا المعنى قول الله تعالى: ﴿**كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ**﴾]غافر: 35.[

فجعل الكبر سببًا للطبع على القلب، والطبع مانعًا من الاهتداء.

وقال تعالى: ﴿**سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ**﴾]الأعراف: 146.[

قال ابن كثير: »**أي أمنع أفهامهم القرآن، وأصرف قلوبهم عن الانتفاع بآياتي؛ جزاءً على تكبرهم** [35]«.

وهذا النص يقرر بوضوح أن الكبر ليس مجرد ذنب، بل هو مانع من الانتفاع بالوحي.

المطلب الثاني: الموانع الاعتقادية

يقصد بالموانع الاعتقادية: الاعتقادات الباطلة والمناقضة لأصل التوحيد والإيمان، التي تحول بين العبد وبين قبول الحق والانقياد له، أو تمنعه من الانتفاع بالهداية الشرعية والاهتداء بها. وتُعد هذه الموانع من أخطر موانع الاهتداء؛ لاتصالها بأصل اعتقاد العبد، إذ إن فساد الاعتقاد يؤثر في تصوره للحق وقبوله له وانقياده لمقتضاه. وتتمثل أبرز الموانع الاعتقادية في :**الكفر، والشرك، والنفاق**.

وقد قرر شيخ الإسلام ابن تيمية أن الإيمان الذي جاءت به النصوص يتضمن اعتقاد القلب وقوله وعمله، وأن الإيمان المطلق يستلزم الأعمال الظاهرة، مما يبين أن فساد الاعتقاد لا ينفصل عن أثره في أعمال العبد واهتدائه [36]كما أفرد ابن تيمية في مجموع الفتاوى مباحث مستقلة في بيان ألفاظ الكفر والنفاق، وفي بيان الفرق بين الإيمان وما يناقضه.

أولًا: الكفر

يُعد الكفر من أعظم موانع الاهتداء؛ لأنه يناقض أصل الإيمان الذي يقوم عليه قبول الوحي والانقياد للحق. والكفر في أصل معناه الشرعي هو ما يناقض الإيمان بالله ورسوله، وقد يكون بالتكذيب أو الجحود أو الإعراض أو الاستكبار أو غير ذلك من المكفرات التي دل عليها الكتاب والسنة. وقد بيّن شيخ الإسلام ابن تيمية أن لفظ الكفر في نصوص الكتاب والسنة يرد على معانٍ متعددة، منها الكفر الأكبر المناقض لأصل الإيمان، ومنها ما يطلق على بعض الأعمال والأقوال التي سماها الشرع كفرًا ولا تخرج صاحبها من الإسلام [37].

وتظهر علاقة الكفر بالاهتداء من جهة أن الاهتداء الشرعي يقوم على الإيمان بالله تعالى وتصديق رسله وقبول ما جاءوا به، فإذا قام في القلب ما يناقض ذلك من التكذيب والجحود والاستكبار عن قبول الحق، انقطع أصل الاهتداء. ولهذا ربط القرآن الكريم بين الكفر وعدم الهداية في مواضع متعددة، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: 6]، وقال سبحانه: ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: 264].

---

[35])*تفسير ابن كثير*، دار طيبة، 3/445.(

[36] . [ينظر: ابن تيمية، *مجموع الفتاوى*، 7/198-200، 522-523.]

[37] . [ينظر: ابن تيمية، *مجموع الفتاوى*، 7/350-354، فصل: في لفظ الكفر والنفاق.]

وقد ذكر المفسرون أن نفي الهداية عن الكافرين في مثل هذه الآيات متصل بما قام فيهم من اختيار الكفر والإعراض عن الحق؛ قال الطبري في تفسير قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾: أي لا يوفقهم للإيمان، ولا يسددهم إلى سبيل الرشاد. [38]

ومن صور الكفر المانعة من الاهتداء :**تكذيب الرسول ﷺ، وجحد ما جاء به من الحق، ورد الوحي، والاستكبار عن اتباعه، والإعراض عنه إعراضًا يناقض أصل الإيمان** .وقد قرر ابن تيمية أن أصل الإيمان هو الإيمان بالله ورسوله، وأن الإيمان يتضمن التصديق والمحبة والانقياد، فلا يتحقق مع قيام ما يناقض ذلك في القلب. [39]

ويظهر أثر الكفر في الاهتداء في كونه يحول دون الانتقال من مجرد بلوغ الحجة إلى قبولها والانقياد لها؛ فقد تقوم الحجة على الإنسان وتبلغه الرسالة، ثم يمنعه الكفر من الانتفاع بها، فلا تتحول المعرفة أو قيام الحجة إلى إيمان واتباع. ومن هنا يظهر أن الاهتداء أخص من مجرد وصول البيان أو معرفة الحق؛ إذ لا يتحقق إلا مع قبول الحق والانقياد له.

ومن السنة النبوية ما يدل على أن رد الحق والاستكبار عن قبوله من أخطر ما يحول دون الانقياد له، قال النبي ﷺ: «الكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ وَغَمْطُ النَّاسِ» [40]؛ ووجه الدلالة أن رد الحق ينافي مقتضى الاهتداء؛ فإذا بلغ رد الحق حدَّ تكذيب الرسول أو جحد ما جاء به كان من نواقض أصل الإيمان.

ثانيًا: الشرك

الشرك من أعظم الموانع الاعتقادية للاهتداء؛ لأنه يناقض التوحيد الذي هو أصل الدين وأساس قبول الهداية الشرعية. وحقيقته جعل شيء من خصائص الله تعالى لغيره، في الاعتقاد أو القول أو العمل، على وجه لا يليق إلا بالله سبحانه.

وتتضح صلة الشرك بالاهتداء من كون التوحيد هو الأساس الذي يقوم عليه سلوك سبيل الهدى، ولذلك جعل الله تعالى الشرك أعظم الذنوب، فقال سبحانه: ﴿**إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ**﴾ [لقمان: 13]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: 48].

وقد قرر علماء العقيدة أن التوحيد هو أصل الدين الذي جاءت به الرسل، وأن الشرك يناقض هذا الأصل؛ قال ابن تيمية: «وأصل الدين الذي هو أصل الإسلام، هو أن يكون الله هو المعبود وحده لا شريك له، وهذا هو معنى قول: لا إله إلا الله». [41]

والشرك مانع من الاهتداء من جهتين؛ فمن جهة الأصل يناقض التوحيد الذي لا يصح الإيمان بدونه، ومن جهة العمل يوجه شيئًا من العبادة لغير الله تعالى، فينصرف العبد عن مقتضى العبودية الخالصة التي هي غاية الهداية.

[38] [ينظر: الطبري، *جامع البيان عن تأويل آي القرآن*، تحقيق عبد الله التركي، 5/572-573.]
[39] [ينظر: ابن تيمية، *مجموع الفتاوى*، 7/638-639، 672-673.]
[40] أخرجه مسلم في *صحيحه*، كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه، رقم (91).
[41] [ينظر: ابن تيمية، *مجموع الفتاوى*، 5/8-6.]

ومن أبرز صور الشرك المؤثرة في الاهتداء :صرف شيء من العبادة لغير الله، ودعاء غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله، والاستغاثة بغيره فيما هو من خصائصه، والذبح والنذر لغير الله، والاعتقاد في غير الله ما هو من خصائص الربوبية أو الألوهية .وقد فصل ابن تيمية في بيان حقيقة التوحيد الذي جاءت به الرسل، وأن العبادة حق خالص لله تعالى. [42]

وينبغي في هذا الموضع التفريق بين الشرك الأكبر والشرك الأصغر؛ فالشرك الأكبر يناقض أصل التوحيد ويهدم أصل الإيمان، أما الشرك الأصغر فلا يخرج من الإسلام، لكنه ينافي كمال التوحيد الواجب ويؤثر في كمال الاهتداء بحسب درجته وآثاره. وقد نص ابن تيمية على أن الشرك منه ما يكون أكبر مخرجًا من الملة، ومنه ما يكون أصغر. [43]

وهذا التفريق مهم في الدراسة؛ حتى لا يُجعل كل شرك مانعًا من أصل الاهتداء على درجة واحدة؛ فالشرك الأكبر مانع من **أصل الاهتداء**، أما الشرك الأصغر فهو من موانع **كمال الاهتداء** ونقصانه.

ومن الأدلة على أثر الشرك في الهداية قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: 88]، وقوله سبحانه: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ﴾ [المائدة: 72]. وتدل هذه النصوص على أن الشرك الأكبر يهدم الأساس الذي يقوم عليه قبول العبادة والاتباع، ومن ثم كان من أعظم موانع الاهتداء.

وفي السنة النبوية قال النبي ﷺ لمعاذ بن جبل رضي الله عنه: «حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا» [44]؛ ووجه الدلالة أن تحقيق العبودية لله وحده هو أصل العلاقة بين العبد وربه، وأن الإخلال بالتوحيد بالشرك يناقض الأصل الذي يقوم عليه الاهتداء.

ثالثًا: النفاق

النفاق من الموانع الاعتقادية الدقيقة؛ لأنه يجمع بين إظهار الإيمان وإبطان ما يناقضه، فيكون صاحبه في الظاهر من أهل الإسلام، بينما يقوم باطنه على التكذيب أو الكراهية أو الشك أو غير ذلك من الاعتقادات المناقضة للإيمان.

وقد فرّق أهل السنة والجماعة بين النفاق الأكبر الاعتقادي والنفاق الأصغر العملي .فالنفاق الأكبر يكون في القلب، ويقوم على إبطان الكفر مع إظهار الإسلام، وهو ناقض لأصل الإيمان، أما النفاق الأصغر فيكون في بعض الأعمال والخصال، ولا يخرج صاحبه من الإسلام. وقد تناول ابن تيمية هذا التفريق في مجموع الفتاوى عند حديثه عن ألفاظ الكفر والنفاق، وبيّن أن لفظ النفاق يطلق على النفاق الاعتقادي وعلى خصال النفاق العملي. [45]

وتظهر علاقة النفاق بالاهتداء في أن المنافق قد يسمع الحق ويعرفه في الظاهر، لكنه لا ينقاد له في الباطن، ولذلك وصف القرآن الكريم المنافقين بأنهم لا ينتفعون بما يصل إليهم من الهدى، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾ [المنافقون: 5].

---

[42] [ينظر: ابن تيمية، *مجموع الفتاوى*، 1/47-49؛ 2/21-22.]
[43] [ينظر: ابن تيمية، *مجموع الفتاوى*، 7/337-338.]

[44] متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، رقم (2856)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، رقم (30).
[45] [ينظر: ابن تيمية، *مجموع الفتاوى*، 7/350-354.]

وقال تعالى في وصفهم: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [المنافقون: 3]، وقال سبحانه: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾ [البقرة: 10]. وتكشف هذه النصوص عن أن فساد الباطن يحول دون الانتفاع بالحق، حتى مع وجود صورته الظاهرة.

ومن أبرز مظاهر النفاق الاعتقادي :تكذيب الرسول ﷺ أو بعض ما جاء به، وبغض ما جاء به الرسول، وكراهية انتصار الدين، والشك فيما يجب الإيمان به، وإبطان الكفر مع إظهار الإسلام .وقد بيّن ابن تيمية أن المنافقين كانوا يظهرون الإسلام ويبطنون خلافه، وأن حقيقة النفاق تقوم على مخالفة الظاهر للباطن في أصل الاعتقاد. [46]

وهذه المعاني تجعل النفاق من أخطر الموانع؛ لأن الظاهر قد يوهم بوجود الاهتداء، بينما حقيقة الباطن تناقضه. ولذلك كان النفاق الاعتقادي أبلغ في إفساد حقيقة الاهتداء من مجرد الانحراف الظاهر؛ إذ إن صاحبه قد يظهر موافقة أهل الهدى، مع عدم تحقق الإيمان والانقياد في قلبه.

ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ [النساء: 145].

وفي السنة النبوية قال النبي ﷺ: «آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان» [47]؛ وهذا الحديث في أصله في النفاق العملي، ولذلك لا يصح جعله وحده دليلًا على النفاق الاعتقادي، وإنما يستأنس به في بيان مظاهر النفاق وآثاره السلوكية.

وبذلك يتبين أن الكفر والشرك الأكبر والنفاق الاعتقادي تشترك في كونها موانع متعلقة بأصل الاعتقاد، إلا أن بينها فروقًا من حيث حقيقتها وأثرها في الاهتداء؛ فالكفر يناقض أصل الإيمان، والشرك الأكبر يناقض أصل التوحيد، والنفاق الاعتقادي يقوم على إظهار الإيمان وإبطان ما يناقضه. ومن ثم فإن هذه الموانع تحول دون تحقق أصل الاهتداء، بخلاف بعض الموانع الأخرى التي قد لا تزيل أصل الاهتداء، وإنما تنقص كماله أو تعيق استمراره وثباته.

الموانع القلبية

يقصد بالموانع القلبية: الآفات والمعاني الباطنة التي تستقر في قلب العبد فتحول بينه وبين قبول الحق والانقياد له، أو تضعف انتفاعه بالهداية واستقامته عليها. وتتميز هذه الموانع بكونها متعلقة بأعمال القلوب وأحوالها، وقد تكون سببًا في رد الحق أو الإعراض عنه أو تفضيل حظوظ النفس على مقتضى الهدى. ومن أبرز هذه الموانع: الهوى، والكبر، والحسد.

أولًا: الهوى

يُعد الهوى من أبرز الموانع القلبية للاهتداء؛ لما له من أثر في توجيه إرادة العبد وصرفها عن مقتضى الحق. والهوى هو ميل النفس إلى ما تحبه وتشتهيه، وقد يكون هذا الميل موافقًا للحق أو مخالفًا له، وإنما يكون مذمومًا حين يُقدَّم ميل النفس ورغبتها على ما جاء به الشرع، فيتبع العبد ما تهواه نفسه ولو خالف الهدى.

وتظهر علاقة الهوى بالاهتداء في أن الاهتداء يقتضي قبول الحق والانقياد له، بينما اتباع الهوى يجعل رغبة النفس هي المرجع الذي يحدد موقف العبد من الحق؛ فيقبل منه ما وافق هواه ويرد ما خالفه. ولذلك حذر الله تعالى من اتباع الهوى، فقال سبحانه: ﴿يَا دَاوُودُ

[46] [ينظر: ابن تيمية، *مجموع الفتاوى*، 28/434-435.]
[47] متفق عليه، أخرجه البخاري في *صحيحه*، كتاب الإيمان، باب علامة المنافق، رقم (33)، ومسلم في *صحيحه*، كتاب الإيمان، رقم (59).

إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [ص: 26]. فدلت الآية دلالة صريحة على أن اتباع الهوى قد يفضي إلى الضلال عن سبيل الله، وهو نقيض الاهتداء.

وقال تعالى: ﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص: 50]. وقد جمع الله تعالى في هذه الآية بين اتباع الهوى وانتفاء الهدى، مما يؤكد أن الهوى إذا صار مقدمًا على الوحي كان من الموانع الصارفة عن الاهتداء.

وقد بيّن ابن القيم أن الهوى من أعظم أسباب الانحراف عن الحق؛ لأنه يحمل صاحبه على تقديم ما تميل إليه النفس على ما جاء به الشرع، ويحول بين القلب وبين الانقياد للحق. ويقرر في هذا السياق أن مخالفة الهوى من أصول السير إلى الله تعالى؛ لأن العبد لا يستطيع تحقيق العبودية إلا بتقديم مراد الله على مراد نفسه. [48]

ومن أخطر صور الهوى في باب الاهتداء أن يتحول من مجرد ميل نفسي إلى اتباع مقصود يجعل الهوى حاكمًا على النص، فيرد العبد ما لا يوافق رغبته، أو يؤول الحق ليوافق هواه، أو يختار من الأقوال ما يحقق له غرضه دون نظر في الدليل. ولهذا وصف الله تعالى من اتخذ هواه مرجعًا بقوله: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الجاثية: 23].

وفي السنة النبوية قال النبي ﷺ: «حُفَّتِ الجنةُ بالمكاره، وحُفَّتِ النارُ بالشهوات» [49]؛ ووجه الدلالة أن طريق النجاة والاهتداء قد يخالف ما تهواه النفس، بينما اتباع الشهوات والاسترسال معها قد يصرف العبد عن مقتضى الطاعة والانقياد.

ومن ثم فإن الهوى ليس مانعًا للاهتداء لمجرد وجود ميل في النفس، وإنما يكون مانعًا حين **يستولي على الإرادة فيقدم العبد هواه على الحق، أو يجعل رغبته حاكمة على الوحي** .وبقدر استيلاء الهوى على القلب يكون نقص الاهتداء أو انتفاؤه، بحسب ما يفضي إليه من مخالفة للحق.

ثانيًا: الكبر

الكبر من الموانع القلبية التي تحول بين العبد وبين قبول الحق والانقياد له، وذلك لما يتضمنه من تعاظم النفس وامتناعها عن قبول ما يخالف تصورها أو مكانتها المتوهمة. ولا يكون مجرد الاعتزاز بالنفس أو حب حسن الهيئة هو الكبر المذموم، وإنما الكبر الذي يتعلق بالاهتداء هو ما يحمل صاحبه على **رد الحق ورفضه وعدم الانقياد له.**

وقد جاء النص النبوي صريحًا في بيان حقيقة الكبر، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر»، فقال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنًا ونعله حسنة، قال: «إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق وغمط الناس» [50]؛

[48] [ينظر: ابن القيم، *مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين*، 2/289-291.]
[49] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، رقم (2822).
[50] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه، رقم 91

وتظهر دلالة الحديث على كونه مانعًا من الاهتداء في تعريف النبي ﷺ للكبر بأنه «**بطر الحق**»، أي دفعه ورده وعدم قبوله، وهذا هو عين المنافي للاهتداء؛ لأن الاهتداء يتضمن قبول الحق والانقياد له. فإذا حمل الكبر صاحبه على رد الحق لمجرد مخالفته لرأيه أو هواه، كان الكبر حائلًا بين القلب وبين الهدى.

وقد قرن القرآن الكريم بين الاستكبار وعدم سلوك سبيل الرشد، فقال تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾ [الأعراف: 146]. وهذه الآية من أقوى الأدلة في بيان أثر الكبر في منع الاهتداء؛ إذ ذكرت صراحة أن من آثار الاستكبار عدم اتخاذ سبيل الرشد سبيلًا، مع رؤية آيات الله.

كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ﴾ [الأعراف: 40]. فدل ذلك على أن الاستكبار عن آيات الله ليس مجرد خلق مذموم، بل قد يكون سببًا في رد الحق وعدم الانتفاع بالهداية.

وقد قرر ابن تيمية أن الاستكبار عن عبادة الله وعن الانقياد له من أسباب الكفر والضلال، وأن حقيقة العبودية تتضمن غاية الذل لله مع غاية المحبة له. [51]كما بيّن ابن القيم أن القلب إذا امتلأ بالكبر صعب عليه قبول الحق والانقياد له؛ لأن الكبر يدفع صاحبه إلى تقديم رأيه ونفسه على مقتضى العبودية. [52]

وعليه، فإن الكبر في باب موانع الاهتداء يتدرج أثره بحسب حال صاحبه؛ فقد يكون مانعًا من **كمال الاهتداء** إذا حمل على بعض صور رد الحق، وقد يبلغ من الاستكبار عن أصل الرسالة أو بعض ما هو معلوم منها بالضرورة حدًّا يناقض أصل الإيمان. ومن هنا ينبغي التفريق بين مجرد وجود الكبر في النفس وبين الكبر الذي يصد صاحبه عن قبول الحق.

ثالثًا: الحسد

الحسد من الموانع القلبية للاهتداء؛ لأنه من أمراض القلوب التي تحول بين الإنسان وبين التسليم للحق إذا اقترن بالاعتراض على ما أنعم الله به على غيره أو حمل صاحبه على بغض الحق وأهله. وحقيقة الحسد أن يتمنى الإنسان زوال النعمة عن غيره، وقد يتجاوز ذلك إلى السعي في إزالتها أو منع وصول الخير إلى صاحبها.

وتظهر علاقته بالاهتداء من جهة أن الحاسد قد يعرف الحق ويقوم عليه الدليل، لكنه يمتنع عن قبوله لما في قلبه من منافسة أو بغض أو اعتراض على من ظهرت فضيلته أو سبق إلى الحق. ولهذا كان الحسد من أمراض القلوب التي قد تحول دون الانقياد للحق، ولا سيما إذا تعلق بأهل الإيمان أو بما آتاهم الله من العلم والفضل.

وقد أشار القرآن الكريم إلى الحسد بوصفه سببًا من أسباب الانحراف عن الحق، فقال تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [النساء: 54]. كما قال سبحانه في شأن أهل الكتاب: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ [البقرة: 109].

[51] [ينظر: ابن تيمية، *مجموع الفتاوى*، 10/5-7.]
[52] [ينظر: ابن القيم، *مدارج السالكين*، 2/330-331.]

وتعد الآية الأخيرة من أقوى الأدلة في هذا الباب؛ لأنها صرحت باجتماع **الحسد مع العلم وتبين الحق**، ومع ذلك حملهم الحسد على إرادة رد المؤمنين عن إيمانهم. وهذا يبين أن الحسد قد يحول دون الانتفاع بالحق حتى بعد ظهوره وتبينه.

وقد ذكر ابن تيمية أن الحسد من أمراض القلوب، وأنه قد يحمل صاحبه على البغض والظلم ورد الحق، وأن علاج ذلك يكون بمجاهدة النفس وتحقيق الرضا بقضاء الله وقدره. [53]

وفي السنة النبوية قال النبي ﷺ: «دَبَّ إليكم داءُ الأمم قبلكم: الحسد والبغضاء، هي الحالقة، لا أقول تحلق الشعر، ولكن تحلق الدين» [54]؛

ووجه الدلالة أن النبي ﷺ وصف الحسد والبغضاء بأنهما «**تحلق الدين**»، أي تستأصل أثره وتذهب بما يترتب عليه من الأخوة والطاعة والاستقامة، مما يدل على خطورتهما على دين العبد واهتدائه.

ولا يلزم من وجود الحسد في القلب انتفاء أصل الاهتداء؛ إذ قد يقع المسلم في الحسد مع بقاء أصل إيمانه، لكنه يكون بذلك قد ابتلي بمانع قلبي ينقص به كمال اهتدائه بقدر تمكن الحسد من قلبه وآثاره في أقواله وأعماله. أما إذا تحول الحسد إلى بغض للحق نفسه، أو إلى رد ما جاء به الرسول ﷺ، أو إلى محاربة أهل الحق بسبب إيمانهم واتباعهم، فإنه يتجاوز مجرد المرض القلبي إلى ما قد يناقض أصل الإيمان بحسب حقيقته.

الموانع العملية

يقصد بالموانع العملية للاهتداء: الأقوال والأعمال والسلوكيات التي تصدر عن العبد فتؤثر في انتفاعه بالهداية، وتحول بينه وبين العمل بمقتضى الحق والثبات عليه. وإذا كانت الموانع الاعتقادية والقلبية تتعلق بأصل التصور والإرادة الباطنة، فإن الموانع العملية تتعلق بما يظهر أثره في سلوك العبد وعمله، وقد تكون نتيجةً لموانع قلبية سابقة، كما قد تكون سببًا في إضعاف القلب وزيادة بعده عن سبيل الهدى. ومن أبرز الموانع العملية: الذنوب والمعاصي، والبيئة الفاسدة، وترك المجاهدة.

أولًا: الذنوب والمعاصي

تُعد الذنوب والمعاصي من أبرز الموانع العملية للاهتداء؛ لما تحدثه من آثار في قلب العبد وسلوكه، ولما قد تؤدي إليه من ضعف الصلة بالطاعة، وقلة الانتفاع بالموعظة، والاسترسال في الغفلة، حتى تتراكم آثارها فتصد القلب عن قبول الحق والعمل به.

ولا يعني ذلك أن كل ذنب يزيل أصل الاهتداء أو الإيمان، فإن أهل السنة والجماعة لا يجعلون مجرد ارتكاب المعصية كفرًا مخرجًا من الملة، وإنما تختلف آثار الذنوب بحسب نوعها ودرجتها وحال فاعلها. فقد تكون المعصية سببًا في **نقص الاهتداء وكماله**، وقد يبلغ الأمر بصاحبها إلى الاستحكام والاستمرار والإصرار حتى تؤثر في قلبه تأثيرًا بالغًا، أما ما كان من الذنوب ناقضًا لأصل الإيمان فله حكمه الخاص.

---

[53] [ينظر: ابن تيمية، *مجموع الفتاوى*، 10/111-113.]

[54] أخرجه الترمذي في *سننه*، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، رقم (2510)، وحسنه الترمذي.

وقد دل القرآن الكريم على أثر المعصية في القلب، فقال تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: 14]. فالآية تربط بين ما يكسبه الإنسان من الأعمال وبين ما يصيب القلب من الرين، مما يدل على أن الأعمال السيئة لا تقتصر آثارها على ظاهر السلوك، بل تمتد إلى باطن القلب، فتضعف قابليته للحق والانتفاع بالهدى.

وقد جاء في السنة ما يوضح هذا المعنى، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: «إن العبد إذا أخطأ خطيئة نُكتت في قلبه نكتة سوداء، فإذا هو نزع واستغفر وتاب صُقل قلبه، وإن عاد زيد فيها حتى تعلو قلبه، وهو الران الذي ذكر الله: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾» [55]؛

ووجه الدلالة أن الحديث يبين أن المعصية تترك أثرًا في القلب، وأن تكرارها والإصرار عليها يزيد ذلك الأثر حتى يعلو القلب الرين، فيضعف إدراكه للحق وانتفاعه بالهداية. كما يدل الحديث على أن هذا المانع ليس حتميًا؛ إذ جعل التوبة والاستغفار سببًا لصقل القلب وإزالة أثر الخطيئة.

وقد قرر ابن القيم أن للذنوب آثارًا في القلوب والأبدان، وأن من آثارها الوحشة والظلمة في القلب، وحرمان العبد من الطاعة والاستقامة. [56]

كما أن الذنوب قد تقود إلى ذنوب أخرى، وتضعف إرادة التوبة، وتوهن عزيمة العبد على الطاعة، فيتحول الذنب من فعل عارض إلى سلوك مستمر يحول بين العبد وبين مقتضيات الاهتداء. ولهذا كان علاج هذا المانع بالتوبة النصوح، والإقلاع عن الذنب، والاستغفار، ومجاهدة النفس على الطاعة.

وعليه، فإن الذنوب والمعاصي تُعد من موانع **كمال الاهتداء** في أصلها، ويشتد أثرها بحسب تكررها والإصرار عليها وما تحدثه من فساد في القلب والعمل، مع بقاء أصل الإيمان ما لم يقع العبد في ناقض من نواقضه.

ثانيًا: البيئة الفاسدة

تؤثر البيئة المحيطة بالإنسان في تكوين معتقداته واتجاهاته وعاداته وسلوكه؛ ولذلك كانت البيئة الفاسدة من الموانع العملية المؤثرة في الاهتداء، ولا سيما إذا كانت قائمة على نشر الباطل، وتزيين المعصية، وإضعاف الالتزام بالشرع، أو حمل الإنسان على تقليد أهل الانحراف وموافقتهم.

ولا يراد بالبيئة الفاسدة مجرد وجود الإنسان في مجتمع تكثر فيه المعاصي، فإن وجود المنكرات في البيئة لا يعني حتمًا انحراف الفرد، وإنما يكون أثر البيئة مانعًا حين تتحول إلى عامل مؤثر في الاختيار والسلوك، من خلال الصحبة السيئة، والتطبيع مع المعصية، وضغط الجماعة، وتزيين الباطل، أو إضعاف دواعي الاستقامة.

[55] أخرجه الترمذي في *سننه*، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة ويل للمطففين، رقم 3334
[56] [ينظر: ابن القيم، *الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي*، صـ 37-40.]

وقد دل القرآن الكريم على أثر البيئة والصحبة في مصير الإنسان، قال تعالى حكاية عن أهل النار: ﴿يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ۝ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا﴾ [الفرقان: 28–29]. فبيّنت الآية أن الصحبة السيئة قد تكون سببًا في الإضلال عن الذكر بعد وصوله، وهو معنى وثيق الصلة بموانع الاهتداء.

وقال تعالى: ﴿الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: 67]. وتدل الآية على أثر المخالطة والصحبة في اتجاه الإنسان، وأن الصلة التي تقوم على غير التقوى قد تنقلب إلى سبب للعداوة والندم.

وفي السنة النبوية قال النبي ﷺ: «مثل الجليس الصالح والسوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحًا طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد منه ريحًا خبيثة»؛ متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الذبائح والصيد، ومسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب.

ووجه الدلالة أن النبي ﷺ شبّه أثر الجليس الصالح والجليس السوء بأثر محسوس، فبيّن أن الصحبة تؤثر في الإنسان ولو لم يكن أثرها مقصودًا في كل حال. ومن ثم فإن البيئة التي يكثر فيها الباطل والمعصية قد تؤثر في سلوك العبد وقلبه، وتضعف دواعي الاهتداء والاستقامة.

ومن صور البيئة الفاسدة المؤثرة في الاهتداء : صحبة أهل المعاصي والانحراف، ومجالس الغفلة، والبيئات التي تستهين بالشعائر والمحرمات، والبيئات التي تزين الشبهات والشهوات، والبيئات التي تجعل مخالفة الشرع أمرًا مألوفًا ومقبولًا.

ويظهر أثر البيئة الفاسدة بصورة أوضح في مرحلة التكوين؛ لأن الإنسان يتأثر بما يراه ويسمعه ويعتاده، ولذلك اعتنى الشرع باختيار الصحبة الصالحة، والتحذير من قرناء السوء. ولا يعني ذلك سقوط مسؤولية الفرد؛ فالعبد محاسب على اختياره وقدرته على مجانبة أسباب الفساد، ولهذا يجتمع في هذا المانع أثر البيئة واختيار الإنسان.

ومن هنا فإن البيئة الفاسدة لا تُعد مانعًا حتميًّا من أصل الاهتداء، وإنما هي من الأسباب الخارجية التي قد تعوق الاهتداء أو تضعفه، ويشتد أثرها كلما غلب تأثيرها على إرادة الإنسان، وضعفت قدرته على مخالفتها، واستمر في مخالطة أهل الباطل مع قدرته على مفارقتهم.

ثالثًا: ترك المجاهدة

تُعد المجاهدة من المقومات الأساسية لاستمرار الاهتداء والثبات عليه؛ لأن الاهتداء ليس مجرد معرفة الحق وإدراكه، وإنما يتضمن سلوك سبيله والثبات عليه ومخالفة ما يعارضه من أهواء النفس وشهواتها. ومن ثم فإن ترك مجاهدة النفس والاستسلام لدواعي الهوى والكسل والغفلة من الموانع العملية التي تحول دون اكتمال الاهتداء واستمراره.

وقد دل القرآن الكريم على ارتباط الهداية بالمجاهدة، فقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: 69]. فالآية رتبت الهداية إلى السبل على المجاهدة، مما يدل على أن المجاهدة سبب من أسباب تحقيق الهداية وتثبيتها، وأن تركها يفوّت على العبد جانبًا من أسباب الاهتداء.

والمجاهدة هنا تشمل مجاهدة النفس على طاعة الله، ومجاهدة الهوى والشهوات، ومقاومة دواعي المعصية، والصبر على الطاعة، والثبات على الحق، وحمل النفس على لزوم ما دل عليه الوحي. ولهذا فإن ترك المجاهدة لا يعني مجرد ترك عمل معين، بل يشمل الاستسلام المستمر لدواعي النفس وعدم مقاومتها فيما يخالف الحق.

قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى ۝ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ [النازعات: 40–41]. فنهْي النفس عن الهوى صورة من صور المجاهدة، وجعل الله تعالى عاقبته الفوز بالجنة، مما يدل على أن مخالفة الهوى ومجاهدة النفس من لوازم السير في طريق الهدى.

كما قال سبحانه: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: 16]، وقال: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت: 69]، وفي ذلك تأكيد أن العبد مأمور ببذل وسعه في طاعة الله ومقاومة ما يحول بينه وبينها.

وفي السنة النبوية قال النبي ﷺ: «المجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله» [57]؛

ووجه الدلالة أن النبي ﷺ جعل مجاهدة النفس في طاعة الله من حقيقة الجهاد، مما يدل على أن الاستقامة على الهدى تحتاج إلى مقاومة مستمرة لدواعي النفس المخالفة للشرع.

ومن صور ترك المجاهدة :**الاستسلام للهوى، والركون إلى الشهوات، والكسل عن الطاعات، وترك طلب العلم والعمل به، وعدم مقاومة المعصية، والاستمرار في أسباب الغفلة مع القدرة على التخلص منها** .وهذه الصور لا يلزم أن تزيل أصل الاهتداء، لكنها تؤدي إلى ضعفه ونقصانه، وقد يستحكم أثرها حتى يصبح العبد أسيرًا لعاداته وشهواته، فيضعف انتفاعه بالحق.

ويظهر من ذلك أن المجاهدة ليست أمرًا زائدًا على حقيقة الاهتداء، بل هي من الوسائل العملية التي تحفظه وتمنع انتكاسه؛ فالعبد قد يعرف الحق ويقبله، لكنه يحتاج إلى مجاهدة نفسه ليعمل به ويثبت عليه. ومن ثم فإن ترك المجاهدة يُعد مانعًا من كمال الاهتداء والثبات عليه، ويتناسب أثره مع مقدار استسلام العبد لما يعارض الهدى من شهوات وأهواء وعادات.

وفي الختام، فإن الاهتداء فضل من الله تعالى، ومنة تستوجب الشكر، وهو في الوقت نفسه طريق يحتاج إلى علم وبصيرة، وإرادة صادقة، ومجاهدة مستمرة، وثبات على الحق. ومتى أدرك العبد حقيقة الموانع التي تحول بينه وبين الهدى، أمكنه أن يحذر أسبابها، ويسعى في إزالتها، ويستعين بالله تعالى على الثبات والاستقامة.

ونسأل الله تعالى أن يهدينا سواء السبيل، وأن يرزقنا العلم النافع والعمل الصالح، وأن يثبت قلوبنا على الحق، وألا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا، وأن يجعلنا من أهل الهدى والاستقامة، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

[57] أخرجه الترمذي في *سننه*، كتاب فضائل الجهاد، رقم (1621)، وقال: «هذا حديث حسن صحيح.»

المراجع:

القرآن الكريم.

موسوعة العقيدة والأديان والفرق والمذاهب المعاصرة ،اصدار الجمعية العلمية السعودية لعلوم العقيدة والأديان والفرق والمذاهب ،تصنيف وإعداد: مجموعة من الأكاديميين والباحثين المختصّين في جامعات العالم ،مراجعة وتقديم: عدد من كبار العلماء والمختصّين في العالم الإسلامي

آيات الهداية والاستقامة في كتاب الله ، للمؤلف : عطية محمد سالم ، مكتبة دار التراث ، 1414هـ

الداء والدواء : محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية: تحقيق:علي بن حسن بن عبدالحميد الحلبي . ط:3 . 1419هـ دار ابن الجوزي.

شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري: عبدالله بن محمد الغنيمان. 1409 هـ .ط1

شرح العقيدة الواسطية: محمد صالح العثيمين. 1426هـ . ط2. دار الثريا

اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع : أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، (تحقيق :عبد العزيز عز الدين السيروان،). دار لبنان. 1407 هـ

الاقتصاد في الاعتقاد : المؤلف: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي وضع حواشيه: عبد الله محمد الخليلي ، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ

المُغني في أبواب التوحيد والعدل» للقاضي عبد الجبار، وهي صادرة عن دار الكتب العلمية — بيروت ، 1433 هـ

الفيروزآبادي، القاموس المحيط، تحقيق محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت .

الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق مجموعة من المحققين، وزارة الإرشاد والأنباء، الكويت،.

اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم: تقي الدين أحمد بن عبدالحليم بن تيمية. تحقيق: ناصر عبدالكريم العقل. 1419. ط:7 .دار عالم الكتب.

مجموع الفتاوى: تقي الدين أحمد بن عبدالحليم بن تيمية. 1425.مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

مدارج السالكين في منازل السائرين: محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية. تحقيق: محمد أجمل الإصلاحي وآخرون. ط.1441 :2دار عطاءات العلم. الرياض.

تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، تحقيق: سامي محمد سلامة.ط: 2 ، 1420هـ ، دار طيبة

أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: محمد الأمين الشنقيطي.1415هـ. دار الفكر

إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان: محمد بن أبي بكر ابن القيم الجوزية، تحقيق: محمد حامد الفقي. دار المعارف.

تفسير الماتريدي: أبي منصور الماتريدي، تحقيق: مجدي باسلوم .ط 1 .1426هـ . دار الكتب العلمية.

القول السديد في شرح كتاب التوحيد: عبدالرحمن السعدي.ط.1421 هـ. وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد. الرياض.

لمعة الاعتقاد: موفق الدين ابن قدامة المقدس ي، وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد.ط 2 ، 1420 هـ.

معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول : الحافظ أحمد علي الحكمي، تحقيق: عمر محمود.ط 1 ، 1410 هـ . دار ابن القيم.

معاني القرآن وإعرابه للزجاج، ط .1408 .1دار عالم الكتب.

عقيدة السلف أصحاب الحديث: عبدالرحمن الصابوني، تحقيق: بدر البدر.ط .1404 .1الدار السلفية. الكويت.

القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى: محمد صالح العثيمين، تحقيق: أشرف عبدالمقصود. ط1.1411هـ. مكتبة السنة.

شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة: هبة الله بن الحسن اللالكائي، تحقيق: أحمد حمدان. دار طيبة. الرياض.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن: محمد بن جرير الطبري، 1405هـ. دار الفكر.

تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: عبدالرحمن السعدي، ط1420 .1هـ. الرسالة.

التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل : محمد بن إسحاق بن خزيمة، تحقيق: محمد خليل هراس.هـ .1403دار الكتب العلمية.

إخلاص حقيقته ونواقضه: د. عبدالله عيسى الأحمدي. جامعة أم القرى. كلية الدعوة وأصول الدين. 1423هـ.

محاسن التوحيد وارتباطها بأركان الإيمان: د.محمد خليفة التميمي.ط1445 .1هـ. دار المهذب.

صفات الله عز وجل الواردة في الكتاب والسنة: علوي عبدالقادر السقاف.ط1437 .5هـ. الدرر السنية.

مختصر الصواعق المرسلة: محمد بن الموصلي. تحقيق: الحسن عبدالرحمن العلوي.ط1425هـ دار أضواء السلف.

حقوق الطبع والنشر © 2026 محفوظة لـ: المجلة العربية للنشر العلمي(AJSP)